ISSN
Print: 2695-2132 | Online: 2695-2118

The Artistic Structure in the Poetry of Abu Ishaq El-Kanemi
البناء الفني في شعر أبي إسحاق الكانمي

By
Muhammad Ramadan Yunus
Yakura Alkali Umar
&
Amina Maidugu Biu
Nigeria Arabic Language Village, Ngala, Borno State
(Inter University, Centre for Arabic Studies)

Abstract

This research paper, entitled "The Artistic Structure in the Poetry of Abu Ishaq El-Kanemi," examines the literary personality of the African poet Abu Ishaq El-Kanemi (d. c. 1212 CE), one of the most prominent figures of Arabic literature in the Kanem-Borno region. He served as a significant cultural link between the Central Sudanese kingdoms of Kanem and Borno and the Maghreb, particularly the city of Marrakech, where he settled and produced much of his literary work. The study aims to explore the artistic and intellectual dimensions of Abu Ishaq's poetry and to investigate his position on issues of identity, race, and cultural belonging. Particular attention is given to his explicit defense of his Black identity and his Afro-Arab affiliation as expressed through his poetic discourse. The research adopts the historical method in tracing the poet's life and intellectual background, while the analytical approach is employed in examining the artistic structure and thematic features of his poetry. The study concludes that Abu Ishaq's poetry contributes to redefining the concept of human superiority on the basis of moral and intellectual values rather than race or color. It further promotes the notions of plural identity and transregional cultural belonging. The paper also discusses Islamic culture in the Kingdom of Borno, questions of origin and identity, Abu Ishaq's journey to Morocco and settlement in Marrakech, as well as the themes and literary value of his poetry.

Keywords: *Abu Ishaq El-Kanemi, artistic structure, Arabic poetry, Afro-Arab identity, Kanem-Borno literature.*

المستخلص:

يتناول هذا البحث الموسوم بـ «**البناء الفني في شعر أبي إسحاق الكانمي**» شخصية الشاعر الإفريقي أبو إسحاق الكانمي (ت نحو 1212م)، أحد أبرز أعلام الأدب العربي في منطقة كانم وبرنو، والذي مثّل جسرًا ثقافيًا وحضاريًا بين بلاد السودان الأوسط والمغرب العربي، ولا سيما مدينة مراكش التي أقام فيها وأنتج جانبًا مهمًا من شعره وإبداعه الأدبي. ويهدف البحث إلى الكشف عن الخصائص الفنية والفكرية في شعر أبي إسحاق، واستجلاء موقفه من قضايا الهوية والعرق والانتماء الحضاري، مع إبراز دفاعه الصريح عن هويته السوداء وانتمائه العربي الإفريقي من خلال خطابه الشعري. وقد اعتمدت الدراسة المنهج التاريخي في تتبع حياة الشاعر وسيرته الفكرية، والمنهج التحليلي في دراسة البناء الفني والموضوعي لشعره. وتوصلت الدراسة إلى أن شعر أبي إسحاق يسهم في إعادة صياغة مفهوم التفوق الإنساني على أساس القيم الأخلاقية والفكرية بعيدًا عن اللون والعرق، كما يرسّخ مفاهيم الهوية المتعددة والانتماء الثقافي العابر للحدود. وتتناول الدراسة

كذلك الثقافة الإسلامية في مملكة برنو، وقضايا الأصل والهوية، ورحلة أبي إسحاق إلى المغرب واستقراره في مراكش، فضلًا عن موضوعات شعره ومكانته الأدبية.

الكلمات المفتاحية: أبو إسحاق الكانمي، البناء الفني، الشعر العربي، الهوية العربية الإفريقية، أدب كانم وبرنو.

المقدمة:

يُعدّ الشاعر أبو إسحاق إبراهيم الكانمي شخصيةً أدبية فذّة، تمثل التقاء الثقافة الإفريقية والعربية في إطارٍ حضاريّ فريد، تشكّل في ظلّ التمدد الثقافي والديني الإسلامي الذي ربط بين مناطق السودان الغربي (غرب إفريقيا) والمغرب العربي. وقد مثّل وجوده في مدينة مراكش المغربية، وعطاؤه الأدبي فيها، نموذجًا مبكّرًا وفي هذه المقالة نسلّط الضوء على هذه الشخصية الأدبية، ونبحث في ظروف نشأته، ورحلته إلى مراكش، وإقامته بها، وأغراض شعره، ودلالات حضوره الثقافي والأدبي في الغرب الإسلامي. والمقالة على ثلاثة محاورٍ رئيسةٍ:

- **المحور الأول:** الثقافة الإسلامية في مملكة برنو الإسلامية، و النشأة والهوية.
- **المحور الثاني:** الرحلة إلى المغرب واستقراره في مراكش.
- **المحور الثالث:** أغراض شعره، ومكانته الأدبية.

المحور الأول: الثقافة الإسلامية في مملكة برنو الإسلامية

تُعدّ مملكة برنو الإسلامية في السودان الغربي والأوسط من المناطق التي قامت فيها دول إسلامية، وأحدثت نهضة دينية وثقافية وحضارية إسلامية كبرى امتدّ إشعاعها إلى المحيط الإفريقي، ومن هذه الدول مملكة برنو الإسلامية، والتي قامت في السودان الأوسط، في منطقة بحيرة تشاد الواقعة إلى شرق قلب المملكة، وقد جعلها موقعها مركزًا مهمًّا في غرب أفريقيا، حيث تقع ضمن ممرّ تجاري حيوي، ولذلك فإنّها التقت بطرق التواصل بين دول الشمال ودول الغرب، فهي بوابة عبورٍ حضاريّ، يتداخل فيها الديني والسياسي والتجاري والاجتماعي.

ومن الدول الإفريقية المجاورة لها: شعب البولالا.(BULALA) وشعب التبو.(TOUBOU) وشعب الكانوري .(KANURI) وشعب الكانيمبو(KANEMBU) ، وهي شعوب أفرزت أجيالاً متنوعة، وخدمت أغلب الأحياء الشرقية من مملكة برنو، وتضمّ اليوم أطرافًا من دول عديدة، منها: جمهورية نيجيريا، وجمهورية النيجر، جمهورية الكاميرون، جمهورية التشاد.

وقد انتقلت العاصمة إلى نجامينا بعد أن كانت في فزّان، ثم إلى إقليم برنو حيث عُرفت بمملكة نيجيريا الإسلامية، ومن ثم إلى مدينة بِلْمَا(BILMA) ، ثم نُقلت إلى مدينة إنجمينا، العاصمة الحالية لجمهورية التشاد.

وحدثت تحولات تاريخية مهمة في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، وبداية القرن العشرين الميلادي، أدت إلى زوال الدولة الإسلامية، ودخول الاستعمار الأوروبي، وتحديدًا الاستعمار الفرنسي والإنجليزي، واستمرت الحكومة الدولية لمملكة برنو في إقليم كانم(KANEM) ، ويُرجع تاريخ ظهور مملكة كانم إلى الأزمنة السحيقة، وقد كثرت الروايات والأساطير حول ظهورها وأصولها. (يعقوب، عام 1431هـ، ص:22).

النشأة والهوية:

وُلد أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن شكلة الذكواني الكانمي، يلقب ب"الكانمي نسبة إلى (مملكة كانم)، ويُنسَب إلى "ذكوان من بني سُليم"، وهي قبيلة عربية، كما ذكر ابن الآبار، والصفدي، وذكر ابن الآبار في (تحفة القادم) الصفار أنَّه سلمي

ذكواني من قرية من قرى السودان بكانم تسمى بلمة (BILMA) وكانم، كان لونه غريباً، وأمره غريباً، في بيئة إفريقية تعود أصولها إلى مملكة كانم، (ابن الأبار، 1406 هـ - 1986م، ص: 157)، وهي مملكة عظيمة قامت في منطقة انجيمينا شمال شرقي بحيرة تشاد، منذ القرن التاسع الميلادي، وكانت مركزًا مهمًا للثقافة الإسلامية في تلك الربوع. وذكر الصفدي في الوافي بالوفيات أن أبا إسحاق "كان أسود اللون، نُسب إلى بلدة من نواحي السودان تُسمى بِلْمَة ، وهي قرية في أرض كانم، وهي مما يلي صعيد مصر". (الصفدي:1420هـ -2000م، ص157-158).

ويظهر دلالات نسبه إلى ذكوان من بني سُليم في شعره واعتزازه بنفسه بأنه عربي الأصل من سُليم وذكوان، رغم لوننه الأسود، ونشأته الإفريقية، كما في قوله:

إِنِّي وَإِنْ أَلْبَسَتْنِي العُجْمُ حُلَّتَهَا ** فَقَدْ نَمَانِيَ إِلَى ذَكْوَانِهَا مُضَرُ
فَلَا يَسُؤْكَ مِنَ الأَغْمَادِ حَالِكُهَا ** إِنْ كَانَ بَاطِنُهَا الصَّمْصَامَةَ الذَّكَرُ

هذين البيتين يُثبتان اعتزازه بأصله العربي القرشي (مضر، ذكوان، سُليم) مع وعيه بالانتمائه الحضاري الإفريقي، وهو ما جعله جسرًا حضاريًّا بين العرب والأفارقة. وتكشف الأبيات عن اعتزاز الشاعر بأصله العربي مع حفاظه على هويته الإفريقية، وقد اعتمد على صورةٍ بلاغية دقيقة حين شبَّه الإنسان بالسيف في غمده، فالعبرة بجوهر السيف لا بلون غمده، وفي ذلك دعوة إنسانية إلى تجاوز التمييز اللوني والعرقي.

كانت البيئة العلمية في برنو وكانم مشجعة على التعليم والتأليف، وقد أتقن أبو إسحاق علوم العربية والآداب، وكان مولعًا بالشعر والمقامات، على الرغم من بقاء شيء من العجمة في لسانه، كما ذكر بعض معاصريه. غير أن هذه العجمة لم تمنعه من الإجادة الشعرية، والنظم المتين، والشاعرية المتميزة، مما جعله يحظى بالتقدير في أوساط العلماء والأدباء في الغرب الإسلامي، ويذكر ابن الآبار أن الشاعر أبو إسحاق قدم على المغرب قبل الستمائة، وسكن مراكش وأقرأ بها الآداب، وبلغني أنَّه دخل الأندلس، وكان شاعراً محسناً، قرأ المقامات، ، وتوفي سنة ثمان، أو تسع، وستمائة بمراكش المغربية. (ابن الآبار، ص: 157.) واختلفت الروايات في تحديد سنة وفاته، لكن هذا الذي اعتمدته المصادر، 608هـ إلى 609هـ ويوافق حوالي 1212م.

صفاته:

كان الشاعر إبراهيم الكانمي أسود اللون، وكان لونه غريبا، وأمره غريبا، ورغم أنه عربي الأصل إلا أن العجمة كانت في لسانه. (ابن الآبار، ، ص:157-158).

وكان شيوخ عصره يصفونه بالتيقظ والفهم، ويُجملون الثناء عليه، وله في ذلك أشعار نادرة في لونه الأسود. (الصفدي، ص.109). حيث يقول:

لَا تَشْهَدَنَّ لِغُرْبِيبٍ وَلَا يَقَقٍ ** حَتَّى تُشَاهِدَ فَضْلًا غَيْرَ مَرْدُودِ
بِكُلِّ لَوْنٍ يَنَالُ الحُرُّ سُؤْدُدَهُ ** مَهْمَا تَجَرَّدَ مِنْ أَخْلَاقِهِ السُّودِ
وَالنَّاسُ لَفْظٌ كَلَفْظِ العُودِ مُشْتَرِكٌ ** لَكِنْ يُرَجَّحُ بَيْنَ العُودِ وَالعُودِ
أَمَا تَرَى المِسْكَ حَقًّا فِي العَاجِ يَخْبَؤُهُ ** وَالجِصُّ مُطْرَحٌ فَوْقَ القَرَامِيدِ
وَلَمْ يُبَالِ ابْنُ عِمْرَانَ بِأُدْمَتِهِ ** حَتَّى اصْطَفَاهُ كَلِيمًا خَيْرُ مَعْبُودِ

تميّزت هذه الأبيات بنزعتها الإنسانية والإصلاحية، إذ جعل الشاعر معيار التفاضل قائمًا على الفضيلة لا اللون. كما وظّف التشبيه الضمني والمقابلة بين السواد والبياض توظيفًا فنيًا ناجحًا، مع استحضار الرموز الدينية مثل قصة موسى عليه السلام لتعزيز فكرته.

وهذه الأبيات فيها دفاع غير مباشر عما يشعر به من انزعاج من نظرة الآخرين إليه بسبب لونه الأسود، وقد أحسن فيها، إذ أحال الأمر إلى الأعمال بدلا من الألوان، وهو مبدأ إسلامي إنساني، دعا إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم)، والرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: (لا فضل لعربي على أعجمي ، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى.)، فكما يقول الشاعر: إذا تجرد الإنسان من أعماله السود فإنه ينال سؤدده مهما يكن لونه!. وضرب أمثلة لرؤيته هذه بما يسمى بلاغيا بالتشبيه الضمني، فغن موسى عليه السلام لم يمنه لونه السمر أن يكون كليم الله سبحانه، والمسك السود اللون يحفظ في وعاء من العاج الأبيض، أما الجض الأبيض اللون فإنه مرمي تطؤه الأرجل لهوانه، من دون اعتبار لبياضه. (رزي، 1970، العدد 23).

ثقافته:

تلقى الكانمي تعليمه في بلاده قبل أن يرحل إلى المغرب ,وكان جيد النظم، متقنا للنحو ، ولم يعرف في أرضه شاعر سواه. (ابن الآبار، ص.150). وهذا الذي ذهب إليه الكاتب د. حسين أحمد جمعة في مقالته المعنونة (التجديد في الشِّعر العربي والتشادي الشاعر عبد الواحد حسن السنوسي نموذجا) وهذا نص قوله:" ولهذا نجد بعضهم يحكم على أن أول من أصل أصوله ووضع له التقاليد إبراهيم الكانم، وذلك في النصف الثاني من القرن السادس وأوائل القرن السابع الهجريين، النصف الثاني من القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر الميلادي".(جمعة، 2022م).

ويذكر الدكتور علي أبوبكر في كتابه:(الثقافة العربية في نيجيريا) قائلا: " اشتهر في مملكة برنو عدد كبير من العلماء الذين خلّفوا أشعاراً رائعة، إلا أن بداية ظهور الإبداعات الأدبية في الدولة يكتنفها كثير من الغموض، لكن الذي لا شك فيه هو أن ظهور الشِّعر العربي يرجع إلى ما قبل الحركة الفودية الإصلاحية بفترة طويلة، ولربما يعدّ من أقدم التراث العربي الشِّعري في هذه المنطقة ما قاله أبو إسحاق إبراهيم الكانمي(ت1212م)، والذي قال في مدح المنصور الموحدي أحد ملوك دولة الموحدين في شمال إفريقية ما نصّه: (أبوبكر: سنة 1965م، ص: 133)

أزال حجابَه عنّي وعَيني ** تراهُ منَ المهابة في حجاب
وقرّبني تفضّله ولكن ** بَعُدْتُ مهابةً عند اقترابي

عبّر الشاعر هنا عن حالة نفسية دقيقة تجمع بين القرب الجسدي والبعد المعنوي الناتج عن الهيبة، وقد جاءت المفارقة بين «الاقتراب» و«البعد» لتعكس عمق الشعور بالمهابة والإجلال.

المحور الثاني: الرحلة إلى المغرب واستقراره في مراكش

قدم أبو إسحاق إلى المغرب قبل سنة 600هـ، واستقر في مدينة مراكش، التي كانت آنذاك حاضرة الموحدين ومركزًا حضاريًا بارزًا في العالم الإسلامي. وهناك أقرأ الآداب، ودرس المقامات، واحتك بكبار العلماء والأدباء، ودخل الأندلس أيضًا لفترة. وقد ذكره ابن الأبار في تحفة القادم قائلاً: "دخل الأندلس وسكن مراكش، وكان شاعرًا محسِنًا"(ابن الآبار، ص157.)، وقد لقي ترحيبًا من أكابر الدولة الموحدية، ومدح السلطان المنصور الموحدي (هو يعقوب المنصور (ت 595 هـ) حاكم الموحدين بعد أبيه يوسف، تميَّز بكونه قائد جهادي وقاضٍ عدل، وسعى لاستعادة الأندلس من الصليبيين.) بقصائد شعرية بليغة، أظهر فيها قدرةً لغوية وبلاغية فائقة، تدلّ على تمكنه من أدوات الفن الشعري. من ذلك قوله في مدح السلطان: (أبوبكر: سنة 1965م، ص: 133)

أزال حجابَه عنّي وعَيني ** تراهُ منَ المهابة في حجاب
وقرّبني تفضّله ولكن ** بَعُدْتُ مهابةً عند اقترابي

فالشاعر يصور ظهرة نفسية دقيقة، حين يقرّبك الكريم والقائد يظلُّ لك التأثير العميق للهيبة ، فلا تلغى مكانته بالرغم من التقارب، بل يُعاد التوازن بين المحبة والرهبة.

قال تاج الدّين ابن حمويه: رأيته وقد قدم إلى مراكش في أيام السّيد يعقوب بن يوسف، ومدح كبراء الدّولة، واختلط بسادتهم. وكانت العجمة في لسانه، غير أنّه بارع النّظم. وقد تردّد إليّ كثيرا وذاكرني. وله في إبراهيم بن يعقوب بن يوسف: (الذهبي، سنة 1410 (400/43-)

مَا بَعْدَ بَابِ أَبِي إِسْحَاقَ مَنْزِلَةٌ ** يَسْمُوْ إِلَيْهَا فَتًى مِثْلِي وَلَا شَرَفُ
أَبَعْدَ مَا بَرَكَتْ عَيْشِي بِسَاحَتِهِ ** وَصِرْتُ مِنْ بَحْرِهِ اللُّجِّيِّ أَغْتَرِفُ
هَمُّوا بِصَرْفِي وَقَدْ أَصْبَحْتُ مَعْرِفَةً ** فَكَيْفَ ذَلِكَ وَاسْمِي لَيْسَ يَنْصَرِفُ

تقوم هذه الأبيات على المبالغة في المدح وإظهار التعلّق بالممدوح، كما برع الشاعر في توظيف الجناس اللفظي في قوله: «اسمي ليس ينصرف»، وهو تلميح نحوي أضفى على البيت طرافة فنية ودلالة ثقافية.

المحور الثالث: أغراض شعره

المدح: كان المدح أبرز أغراضه الشعرية، خاصة مدح السلاطين والعلماء والصالحين، فقد مدح السلطان المنصور الموحدي، كما أشرنا، ومدح بعض العلماء، وخصّ النبي محمد ﷺ بقصائد مديحية، إلا أن الأخير لم تصلنا نصوص كاملة، ومن أمثلته: (الحسني، عام 1961م، ص106.).

ملكٌ علا في العالمين بجوده ** وبه انتظمتْ مفاخرُ الدولِ
والناس في فضله طلابُ نعمةٍ ** يسعون من شرقٍ ومن منهلِ

الاعتزاز بالنفس والهوية: تميّز شعره بروحٍ عالية من الاعتزاز بلونه الأسود، ورفضه للتمييز العرقي، وافتخاره بأصله العربي الإفريقي، وقد عبّر عن ذلك بقوله: (ابن الآبار، ص158) و"تراث أبناء الكانمبو"، kanumbu culture)

إِنِّي وَإِنْ أَلْبَسَتْنِي العُجْمُ حُلَّتَهَا ** فَقَدْ نَمَانِيَ إِلَى ذَكْوَانِهَا مُضَرُ
فَلَا يَسُؤْكَ مِنَ الأَغْمَادِ حَالِكُهَا ** إِنْ كَانَ بَاطِنُهَا الصَّمْصَامَةَ الذَّكَرُ

وفي قوله لما سئِل لِمِ لا يَهْجُو، فقال: (ابن الآبار، ص158).

كم سائلٍ لم لا تهجو فقلتُ له ** لأنني لا أرى مَنْ خافَ من هاجِ
لا يكرهُ الذمَّ إلاَّ كلُّ ذي أنَفٍ ** وليس لؤمُ لئامِ الخلقِ منهاجي

فيقول مخاطبًا زوجته البيضاء ، لم تُصرَّح باسمها، ول أولاده، وهي التي حاول حاسدوه الإيقاع بينه وبينها، مستغلّين الإشارة إلى لونه الأسود، فردَّ الشاعر عليهم بقوله:

غَيري عَلَيْكُنَّ يا زَهْراءُ يُضْطَرِب ** لأَنَّ صَبْري عَلَى ذَاكَ الهَوَى صَبِرُ
لوني و لَوْنكِ مزدانٌ إِذَا اجْتَمَعَا ** كَمَا يُزِينُ سَوَاد المُقْلَةِ البَصَر
وَإِنْ شَكَكْت فَقِيسِي قَيْس تَجْرِبَةٍ ** فَفِي اخْتِبَارِكَ مَا يُنْسَى بِهِ الْخَبَرُ
إِنِّي وَإِنْ أَلْبَسَتْنِي العُجْمُ حُلَّتَهَا ** فَقَدْ نَمَانِيَ إِلَى ذَكْوَانِهَا مُضَرُ
فَلَا يَسُؤْكَ مِنَ الأَغْمَادِ حَالِكُهَا ** إِنْ كَانَ بَاطِنُهَا الصَّمْصَامَةَ الذَّكَرُ

جلّت في الأبيات صورة فنية مبتكرة حين شبّه اجتماع اللونين الأسود والأبيض بسواد العين وبياضها، وهو تشبيه يدل على التكامل والجمال، كما تكشف الأبيات عن ثقة الشاعر بنفسه واعتزازه بهويته.

وقد ظلَّ هذا الشاعرُ مقيماً في البلاد المغربية منافحاً عن هُويَّته العربية الإفريقية من خلال رفعه راية الدفاع عن اللون الأسود، الذي عُرف بالدفاع عنه في كثير من الأشعار، دون أن يكون له بسبب هذا اللون الأسود آيَّةُ عقدةٍ نفسية أو معاناةٍ اجتماعية، كما هي حال بعض المنهزمين نفسيًّا، أو المتعصبين لبعض الألوان؛ بل إنَّنا نَحُسُّ من بعض تعبيراته زَهْوَ فخرٍ وزُهُوَّ بهذا اللون من خلال تعبيره عنه بقوله: (إني وإن ألبَسنَتِي العُجْمُ حَلَّتَهَا)، فلفظ" الحَلَّة "معناها اللغوي يدل على الزِّيِّ الجميل المكمل المكون من ثُوبَيْن(تراث أبناء الكانمبو، صفحة بفيسبوك ،Kanumbu Ca Culture).

الحكمة والموعظة: من أبرز خصائص شعره نزعة الزهد والحكمة، والوعظ بتأملات عميقة في الموت والحياة، ومن أشهر أبياته: (الصفدي، ص:108)

أفي الموت شكٌّ يا أخي وهو برهانُ ** ففيمَ هجوعُ الخلق والموتُ يقظانُ
أتَسْلو سلوَّ الطير تَلْقط حَبّها ** وفي الأرض أشراكٌ وفي الجوّ عِقْبانُ

تقوم الأبيات على نزعة وعظية وتأملية واضحة، وقد اعتمد الشاعر على الاستفهام الإنكاري لإثارة الانتباه، كما رسم صورة حركية للطير بين الأشراك والعقبان للدلالة على هشاشة الحياة وكثرة الأخطار المحيطة بالإنسان. وكان أبو زيد الفازازي يفضله على شعراء عصره بهذين البيتين. (ابن الأبار، ص: 157.)

الدعوة إلى الوحدة الإسلامية: في شعره نجد دعوةً واضحة إلى وحدة الأمة الإسلامية، وتقديرًا لعلماء فاس والمغرب، في مشهد يدل على انصهاره في الثقافة المغاربية الإسلامية، مع حفاظه على أصوله الكانمية: (كنون، ص108.)

نُحبُّ فاسًا ومن في فاسَ من نُجبٍ ** فكلهمْ أهلُ علمٍ سادةُ الحِقَبِ

فمن قصائده في النصح والإرشاد منها قوله: (جمعة 2022م)

أُوصِيكُمْ يَا مَعْشَرَ الإِخْوَانِ ** عَلَيْكُمْ بِطَاعَةِ الدَّيَّانِ
إِيَّاكُمْ أَنْ تُهْمِلُوا أَوْقَاتَكُمْ ** فَتَنْدَمُوا يَوْمًا عَلَى مَا فَاتَكُمْ
وَإِنَّمَا غَنِيمَةُ الإِنْسَانِ ** شَبَابُهُ وَالشَّرُّ فِي التَّوَانِي
مَا أَحْسَنَ الطَّاعَةَ لِلشَّبَابِ ** فَاسْعَوْا لِتَقْوَى اللهِ يَا أَحْبَابِي
وعمّروا أقاتكم بالطاعة ** والذكر كل لحظة وساعة
فمن تفُتْه ساعة من عمره ** تكنْ عليه حسْرةً في قبرِه
ومن يقلْ إني صغير أصبر ** حتى أخاف الله أكبر
فإن ذاك غرَّه إبليس ** وقلبُه مقفول أو مطموس

تغلب على هذه الأبيات النزعة التعليمية والإرشادية، لذلك جاءت لغتها مباشرة ومعانيها واضحة، وهو ما جعلها أقرب إلى النظم التعليمي منها إلى الشعر الوجداني، غير أنّها تحمل قيماً أخلاقية وتربوية واضحة.

فالقصيدة في إيقاعها لم تطرب الفهم، وأن الشاعر لم يفكر في المعنى الذي يريد أن ينظم فيه لذا نفتقد الانفعال النفسي الذي يتفق مع الاختيار للمعاني والألفاظ، وبخاصة الوزن والقافية السبب في أن نحكم على شعره بالضعف وخروجه عن حد القبول فهو نظم في الارشاد والوعظ.

مكانته الأدبية:

نال أبو إسحاق إعجاب علماء وأدباء عصره، وكان يُقدَّم في مجالس الشعر، حتى أن الشاعر الفقيه أبو زيد الفازازي فضّله على شعراء زمانه، كما ورد في الوافي بالوفيات. وقد جمع بين ثقافتين: عربية رصينة، وإفريقية متجذّرة، من غير تناقض أو تكلّف.

وقد ظلّ في مراكش إلى أن توفي بها سنة 608هـ تقريبًا، وهو ما يدل على استقراره الطويل فيها، واندماجه في الحياة الفكرية لتلك البلاد، ويمثل شعر أبي إسحاق الكانمي شهادة أدبية على عمق العلاقة الثقافية والدينية بين إفريقيا جنوب الصحراء وشمالها. كما يعكس قوة اللغة العربية في التعبير عن قضايا الهوية والكرامة الإنسانية، حتى لدى غير العرب في العرق واللسان. لقد دافع أبو إسحاق عن اللون الأسود لا دفاع المتأزم، بل دفاع الواثق بذاته، كما افتخر بأصوله العربية والكانمية في آنٍ واحد، دون أن يرى في الجمع بينهما تضادًا.

الخاتمة:

كان أبو إسحاق الكانمي أكثر من مجرد شاعر إفريقي كتب بالعربية، بل كان رمزًا للتلاقح الحضاري بين الشمال والجنوب، ومثالًا على قدرة الثقافة الإسلامية على تجاوز الحدود العرقية والجغرافية. وقد أبدع في مراكش، فخلّد اسمه في دواوين الأدب، ونقش هويته في الذاكرة الثقافية الإسلامية. إنّ إعادة قراءة شعره اليوم تُسهم في إبراز دور أعلام غرب إفريقيا في إثراء الحضارة الإسلامية العالمية.

النتائج:

وبعد هذه الجولة اليسيرة حول شخصية الشاعر أبو إسحاق الكانمي في المراكش المغربية، والوقوف على شظاياه توصل الباحث إلى نتائج، منها:

- أن أبا إسحاق همزة وصل بين السودان الأوسط (كانم برنو) وبلاد المغرب.
- أهمية الأدب في توثيق العلاقات بين المراكز الحضارية الإسلامية.
- الدور الثقافي والحضاري لمراكش في احتضان المبدعين من خارج بلاد المغربي.
- إعادة صياغة مفهوم التفوق القيمي بعيدا عن اللون والعرق.
- تكريس مفاهيم الهوية المتعددة والانتماء العابر للحدود.

المصادروالمراجع

- ابن الأبار: **تحفة القادم**، علّق عليه: الدكتور إحسان عباس، ونشر بدار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1406هـ/1986م.
- تراث أبناء الكانمبو، صفحة بفيسبوك، Kanumbu Ca Culture
- حسين أحمد جمعة: **التجديد في الشِّعر العربي والتشادي الشاعر عبد الواحد حسن السنوسي نموذجا**، مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية، تاريخ النشر: 2022/05/01م تاريخ القبول: 2022/04/05، كلية العلوم التربوية بجامعة أنجمينا-تشاد.
- الذهبي، شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان: **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الأعلام**، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية، 1410هـ
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك: **الوافي بالوفيات**، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ونشر بدار إحياء التراث – بيروت، 1420هـ/2000م.
- عبد الله كنون الحسني: **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، ج2، الناشر: المطبعة العربية، تطوان، المغرب، الطبعة الثالثة 1961م.
- علي أبوبكر: **الثقافة العربية في نيجيريا**، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، 1965م.
- علي يعقوب: **دور القوى الدولية في أفريقيا**، مجلة قراءات إفريقية العدد الخامس، جمادى الثاني ، 1431هـ
- محمد زين رزي: **أضواء على الأدب العربي التشادي**، الخميس, 1 يناير, 1970، العدد 23، صفحة رابطة الأدب الإسلامي العالمية.